الفصل الأول

المحاولات المبكرة
لغزو المسلمين فكريا

مشركو مكة :

إن محاولة صرف المسلمين عن دينهم ظهرت فى مرحلة مبكرة جداً من الدعوة الإسلامية ، ولم تقتصر على اليهود والنصارى ، وإنما استخدمها مشركو مكة أحياناً لصرف المسلمين عن القرآن الكريم ، بوسيلة استخدموها فى ذلك الوقت المبكر .

وقد تمثلت هذه الوسيلة فى القصص التى وقعت فى الأمم الماضية مثل أمة فارس وأمة الروم . وكان النضر بن الحارث أحد الذين تولوا كبر هذا الإفك .

يروى ابن إسحاق فى السيرة :

" وكان النضر[٣] بن الحارث من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث أهل الفرس وأحاديث رستم واسنفديار . فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكرَّ فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه ـ أى النضر بن الحارث ـ فى مجلسه إذا قام ثم قال إنا والله يا معشر قريش أحسن حديث منه فهلم إلى أنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثاً منى " .[٤]

هنا نلاحظ أن مشركى مكة قد استخدموا سلاحاً ثقافياً تمثل فيما كان يرويه النضر بن الحارث من قصص السابقين لصرف الناس عن القرآن الكريم .

---

(٣) أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبة بن أبى معيط وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد : يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان يقول فى كتاب الله ما يقول . قال وفيه أنزلت هذه الآية : " ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة الأنفال الآية ٣١.

وانظر لباب المنقول للسيوطى بهامش الجلالين ص ١٥٩ .

(٤) السرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

وكان لهذا المسلك تأثير خطير على الدعوة الإسلامية فى بدايتها ، والمؤرخون القدامى قد شعروا بخطورة هذا المسلك .

نلحظ ذلك من وصف ابن إسحاق للنضر بن الحارث :

" وكان من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة " .

وكان المشركون يستعينون بجهات أخرى[٥] فى غزوهم الفكرى للمسلمين ـ فى مكة ـ تمثل هذا فى سؤالهم اليهود عن بعض الأمور التى من شأنها حسب زعمهم أن تعجز النبى صلى الله عليه وسلم وتشكك المسلمين فى دينهم ، وكان اليهود على أتم الاستعداد للقيام بهذه المهمة غير المقدسة ـ لخدمة المشركين وخدمة أغراضهم فى الوقت نفسه .

فقد ورد أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود المدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفاً له صفته .

وبالفعل قام رسولا قريش بمهمتهما وسألا أحبار اليهود " وقالا لهم : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن ـ صاحبنا هذا :

فقالت لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل فإن لم يفعل فالرجل متقول : فروا فيه رأيكم .

سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب .

وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه .

وسلوه عن الروح ما هى ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول : فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم "[٦]

---

(٥) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص ١٥٩ وسنتحدث بالتفصيل عن دور اليهود الخاص بالغزو الفكرى .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

وقد تلقف المشركون هذه الأسئلة وألقوها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ونزل الوحى ليخبر الرسول بالجواب عن تلك الأسئلة .

لقد كان الأجدر باليهود أن يخبروا المشركين بصدق النبى بداية لأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .. ولكن اليهود أرادوا أن يؤججوا نار الصراع بين المشركين والرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة .. فى فترة مبكرة جداً من الدعوة .

دور اليهود فى الغزو الفكرى :

لعل اليهود قد فرضوا أنفسهم علينا فرضا ونحن نتحدث عن المشركين إذ أنه ما من وجه من وجوه الفساد إلا ولليهود فيها نصيب وافر ـ وهذا يقتضينا أن نتتبع محاولات اليهود فى صد المسلمين عن دينهم وفى غزوهم الفكرى للمسلمين .

وسنقتصر على الغزو الفكرى .. فقط من جانب اليهود ومقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين له ـ طارحين جانباً ـ الغزو الحربى الذى تم بين اليهود وبين المسلمين والذى انتهى باليهود إلى أمور لم يحمد عقباها ـ من إجلاء لهم عن ديارهم كما حدث لبنى النضير ولبنى قينقاع .

أو من تقتيل لهم واستئصال لشأفتهم ، كما حدث لبنى قريظة حيث ذبح الرجال منهم .

أو من قتال لهم وتسليمهم لأموالهم وعملهم كأُجراء فى الأرض عند المسلمين، كما حدث ليهود خيبر وغيرهم ، وإلى حين خروجهم من جزيرة العرب على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه [٧]

---

(٧) انظر فى حروب اليهود مع المسلمين ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ والبداية والنهاية لابن كثير ـ ومن كتب السيرة الحديثة ـ فقد السيرة للشيخ محمد الغزالى ـ وفقه السيرة الحديثة ـ وفقه السيرة للدكتور سعيد رمضان البوطى ـ والرحيق المختوم للمباركفورى ـ وانظر على وجه الخصوص العرض الرائع لصراع ا ليهود مع المسلمين ـ المنهج الحركى للسيرة النبوية ـ لمنير محمد الغضبان .

المبحث الأول

ونفصل مواقفهم من البداية :

فى المرحلة المدنية :

حين قدم رسول الله عليه وسلم المدينة عقد مع اليهود معاهدة مفادها أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم [٨]

---

(٨) نص المعاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم . واليهود .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم . بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم (أى أمرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنى عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم (أى دياتهم) الأولى . وكل طائفة منهم تعدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم بتعاقلون معاقلهم الأولى . وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين لا يتركون مفرجا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن من دونه وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أ و ابتغى دسيعة (أى عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليهم جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً وأن المؤمنين بى بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه : وأنه لا يجر مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول من دونه على مؤمن وأنه من اغتبط مؤمناً قتلاً على بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وأنه من نصره أو أواه فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وإنكم مهما اختلفتم فى من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بين عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع (أى يهلك) إلا نفسه وأهل بيته . =

ولكن اليهود لم يحفظوا العهد والميثاق الذى أخذ عليهم فطرحوا عهودهم جانباً وتعاملوا مع المسلمين الجدد كأعداء لهم ، وكانت الحوادث تظهر ذلك الحقد والتشكيك فى المسلمين .

وكان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام من أهم الأحداث التى أثارت اليهود وانطلقوا يشككون فى صدق النبى صلى الله عليه وسلم وأتباعه(٩)

وقد أخبر الله نبيه بخطة اليهود وكلامهم بعد تحويل القبلة فى قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١٠)

لقد انطلقت أبواق يهود وقد عز عليهم أن يتحول محمد صلى الله عليه وسلم والجماعة المسلمة عن قبلتهم ، وأن يفقدوا حجتهم التى يرتكزون عليها فى

= وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وأن بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن لبنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته وأن حفنه بطن من ثعلبة كأنفسهم وأن بطانة يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد بإذن محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يأثم امرؤ بحليفة وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا أثم وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة ـ من حدث واشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره وأنه لا تجار قريش و لا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ، ويلبسونه فإنهم يصالحونهم ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن اسحاق : وأن البر دون الإثم ولا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وأنه من خرج ومن قعد أمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وإن الله جار لمن بر وأتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٨٨ ، ٩٨ ، ٩٠ ، ٩١ ..

(٩) انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(١٠) سورة البقرة الآية ١٤٢ .

تعظيمهم وتشكيكهم للمسلمين فى قيمة دينهم انطلقت تلقى فى صفوف المسلمين وفى قلوبهم بذور الشك والقلق فى قيادتهم وفى أساس عقيدتهم .

قالوا لهم : إن كان التوجه فيما مضى إلى بيت المقدس باطلاً فقد ضاعت صلاتكم طوال هذه الفترة وإن كان حقاً فالتوجه الجديد إلى المسجد الحرام باطل وضائعة صلاتكم إليه كلها [١١] .

ويبدو أن كلام اليهود قد ترك أثراً ضخماً فى نفوس المسلمين فأنزل الله ما يدحض كلام اليهود [١٢]

يقول تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١٣]

وما أنزل الله فيه :

(أ) وصف لليهود بالسفاهة . وفى هذا قدح لليهود وتسلية للمسلمين لأن كلام اليهود صادر عن سفهاء والسفيه بين الناس لا يستمع إلى كلامه ولا يؤخذ برأيه .

(ب) وفيه بيان لخطأ الاعتراض من جانب اليهود فى تحويل القبلة لأنه ما دام لله المشرق والمغرب فلا يجوز لأحد أن يعترض . فهو الذى يوجه وهو الذى يأمر فالأمر أمره والنهى نهيه ما دام الملك له (جـ) وفى الآيات ثناء على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصحابة النبى على رأسها . فقد وصف الله أمة محمد بأنها أمة وسط تشهد على الناس ويشهد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٤] .

---

(١١) انظر بتصرف ظلال القرآن جـ ١ ص ١٢٦ .

(١٢) انظر فتح البارى جـ ١ ص ١٣٩

(١٣) سورة البقرة الآية ١٤٢ ، ١٤٣

(١٤) انظر مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٣٦ وانظر تفسير الرازى جـ٢ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،

(د) وفى الآيات تطييب لخاطر المؤمنين بأن الله لن يضيع إيمانهم أى صلاتهم [١٥] فى الفترة التى توجهوا فيها إلى بيت المقدس . وذلك على عكس ما ذهب اليهود من عدم قبول صلاة المؤمنين فى تلك الفترة .

تعرض اليهود لذات الله :

لقد كان اليهود يتفننون فى إثارة المسلمين عن طريق التعرض لذات الله ـ ومحاولة تشكيك المسلمين فيما يسمعونه من الوحى .

وكانت هذه الإثارة تلقى أحياناً رد فعل من جانب الصحابة كما حدث مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

روى ابن إسحاق عن أبى حاتم عن ابن عباس قال :

دخل أبو بكر بيت المدراس فوجد اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص فقال له : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ولو كان غنياً عنا ما استقرض مناكما يزعم صاحبكم .

فغضب أبو بكر فضرب وجهه فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد انظر ما صنع صاحبك بى ، فقال يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت ؟ قال يا رسول الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فجحد .فأنزل الله :

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [١٦]

وتلك الإثارة المتعمدة من جانب اليهودى دفعت أبا بكر الصديق ليضرب اليهودى ـ والطبيعة اليهودية تظهر عند المواجهة ـ فالإنكار والكذب هو ديدنهم فالذى ضرب أنكر مقالته التى سببت له الضرب حتى تثبت الجناية على أبى بكر وأنه ضر ب اليهودى من غير سبب ، وبالتالى ليقتص النبى له من أبى بكر.

---

(١٥) انظر تفسير القرطبى جـ٢ ص ١٥٨.

(١٦) سورة آل عمران الآية ١٨١ وانظر لباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى بهامش الجلالين صـ ٩٩ وسيرة ابن هشام جـ٢ ص ١٣٩ ، ١٣٨.

ولكن الله سميع بصير على افتراء اليهودى فأنزل الله ما يبرئ به ساحة الصديق رضى الله عنه قرآنا يتلى، شاهدا على قول اليهود وافترائهم على الله بالكذب ورسله بالقتل.

وقد تكرر هذا الموقف بعد ذلك ـ وإذا كان اليهودى قد أنكر مقولته ـ فإن المثال الذى بين أيدينا يرينا مدى تبجح اليهود ومواجهتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء على ذا ت الله المقدسة.

"فقد أتى رهط من اليهود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاءه جبريل فقال خفض عليك يا محمد وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه " قل هو الله أحد الله الصمد" قال فلما تلاها عليهم قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خَلْقُه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول"[١٧]

هنا كانت المواجهة ـ للنبى صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكتفوا بما نزل توضيحًا لسؤالهم ولكنهم تمادوا فى غيهم وضلالهم ـ وسألوا أسئلة فيها تشبيه وتمثيل لله عز وجل بخلقه [١٨].. وكان غضب النبى أشد.

وبهذه المواجهة الفكرية كانوا يتعاملون مع كل ما يصدر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من الهجوم على ذات الله ـ أمام المسلمين تارة وأمام الرسول صلى الله عليه وسلم تارة أخرى.

محاولة تحريض المؤمنين على عدم الإنفاق فى سبيل الله.

ماذا يضرهم لو أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله؟

إنهم يعلمون أن المؤمنين ينفقون أموالهم على إخوانهم من الفقراء أو فى مساعدة حركة الدعوة من جهاد وخلافه.

---

(١٧) انظر النص كاملا فى السيرة ابن هشام جـ٢ ص ١٥٠.

(١٨) انظر نشأة الفكر الفلسفى ص ٩٨.

وهم يعلمون أن الأموال التى تنفق من شأنها أن تجعل بنيان الصف المسلم متينا قويا. وهذا يؤلم اليهود فكان التآمر من جانبهم على المؤمنين بتحريضهم على عدم إنفاق أموالهم .

ولكن كطبيعة اليهود لبس هذا التحريض ثوب النصح والإرشاد.

قال ابن اسحاق :

"وكان كروم بن قيس حليف كعب بن الأشرف وأسامة ابن حبيب ونافع بن أبى نافع وبحرى بن عمرو وحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم وينتصحون لهم. من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون فأنزل الله ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ والنص الذى أورده ابن اسحاق يبرز كيف كان اليهود يحرضون المسلمين على عدم الانفاق وفى الوقت نفسه يلمزون الإسلام "فإنكم لا تدرون علام يكون".

مناصرة اليهود للمشركين:

مر بنا كيف تآمر اليهود على المسلمين وحاولوا إثارة الفتن وزرع بذور الشك فى نفوس المسلمين وكان الله لهم بالمرصاد يكشف مؤامراتهم ويحفظ المسلمين منهم ومن كيدهم..

بل وصل الأمر أبعد من هذا ـ فقد سأل مشركو مكة جماعة من أحبار اليهود عن دينهم ودين محمد ، وبعد أن عدد المشركون لليهود صفاتهم وما يقومون به من خدمة للحجاج من سقاية ورفادة ، إذا باليهود يقولون للمشركين أنكم على الحق.

وكما يقول أستاذنا الدكتور بركات :

"وكان فى اليهود عناد ومكر واستعداد للتحالف مع أى قوة ضد الإسلام حتى ولو كان ذلك على حساب الدين عامة كقولهم لعبدة الأصنام أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلا"[١٩]

(١٩) انظر الوحداينة ص ١٠٨.

وتفصيل ذلك ما رواه الإمام أحمد عن ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة ـ قالت قريش: ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟"

قال أنتم خير ونزلت فيهم:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝ ﴾[٢٠]

كان الأولى من اليهود على أقل تقدير ـ إن لم يصدقوا بالنبى ويعترفوا بنبوته ـ وكل الأسباب داعية لهم إلى ذلك أن يصمتوا أمام المشركين ـ أما أن يصرحوا لهم بأن دين الشرك أفضل من دين محمد؟

فهذا مكمن الخطر، وبيت الداء عند اليهود ـ وهنا تظهر النفس الشريرة التى تسكن فى أجساد اليهود، ومن ثمَّ كان لعن القرآن لليهود ووصفه لهم بالحسد.

يقول تعالى تعقيبا على قولهم للذين كفروا بأنهم أهدى من المؤمنين سبيلا:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ ﴾[٢١]

يقول الرازى:

"وأعلم أن القوم إنما استحقوا هذا اللعن الشديد لأن الذى ذكروه من تفضيل عبدة الأوثان على الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يجرى مجرى المكابرة فمن يعبد غير الله كيف يكون أفضل حالا ممن لا يرضى بمعبود غير الله أو من كان دينه الإقبال بالكلية على خدمة الخلق والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة كيف يكون أقل حالا ممكنا بالضد فى كل هذه الأحوال"[٢٢]

---

(٢٠) سورة النساء الآية ٥١ ، ٥٢ وانظر لباب المنقول فى أسباب النزول ص ١١٣.

(٢١) سورة النساء الآية ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤.

(٢٢) التفسير الكبير. المجلد الخامس. جـ ١٠ ص ٢٣.

ولطالما لفت نظرى هذا الموقف من جانب اليهود أيطعنون فى دين محمد ويثنون على المشركين فى تدينهم؟ ويصفونهم بالهداية؟

إن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كان صادقا مع نفسه ومع دينه حين حزن لانتصار الفرس على الروم ـ لأن الروم على الرغم من انحرافهم أهل كتاب بعكس الفرس عبدة النار

ونزل القرآن الكريم ـ ليبشر محمدًا بانتصار الروم بعد ذلك على الفرس.

وكان المفروض أن يتعامل اليهود بهذا المنطق ـ فإن محمدًا على الحق وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ـ ولكن اليهود رجحوا دين المشركين على الإسلام. ومن ثمَّ اعتبرهم الله رب العالمين أشد الناس عداوة للمؤمنين.

يقول تعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٢٣]

محاولة بث الفرقة بين الأوس والخزرج بعد أن هداهم الله إلى الإسلام

ليس هناك طريق يوقع بالمسلمين الضرر ويورث الحقد والبغضاء بينهم إلا وسلكه اليهود أملا منهم أن يفرقوا الصف المسلم من حول رسول الله عليه وسلم .

بعد أن ألف الإسلام بين الأوس والخزرج وكون منهم ما عرف باسم الأنصار ـ حاول اليهود بشتى الطرق أن يوقعوا بينهم العداوة والبغضاء، وأيسر طريق لتلك الفتنة أن يذكروهم بما كان بينهم فى الجاهلية من حروب.

وبدأت النار تشتعل بسبب أحد اليهود الذى جلس بين الأوس والخزرج وأنشدهم شعرا قاله أحد الحيين فى حربهم فقال الحى الآخر: الشعر الذى قالوه فى حربهم.

---

(٢٣) سورة المائدة الآية ٨٢.

وبلغت الفتنة ذروتها حين قالوا . يرد الحرب جذعاء كما كانت. فنادى هؤلاء : يا آل أوس ، ونادى هؤلاء يا آل خزرج. فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال ـ ولكن رحمة الله كانت قريب من المحسنين فأنزل الله عز وجل بداءًا لهم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٢٤)

عن عكرمة وابن زيد وابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ جاء حتى وقف بين الصفين وقرآ الآيات عليهم فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا، وجعلوا يبكون.

وكان الذى فعل ذلك شاس بن قيس اليهودى دس على الأوس والخزرج من يذكرهم ما كان بينهم من الحروب ـ حتى أتاهم النبى وذكرَّهم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم(٢٥)

إن اليهود حين عجزوا أن يحاربوا المسلمين ـ لجأوا إلى أسلوب المكر والخداع والوقيعة واستعانوا على ذلك بنفر من المنافقين وحين يجدون أدنى ميل واتباع من جانب المسلمين فإنهم بلا شك سيستخدمون ذلك كله إلى محاولة رد المسلمين كفارا بعد أن مَنَّ الله عليهم بالإسلام وأعداءًا بعد أن مَنَّ الله عليهم بالأخوة وألف بين قلوبهم.

كان هذا ديدن اليهود على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهو ديدنهم فى كل زمان ومكان وما نراه من فرقة بين المسلمين الآن إنما هو من آثارهم،

تحالف اليهود مع المنافقين لكيد المسلمين وفتنتهم :

---

(٢٤) سورة آل عمران ـ الآيات ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢.

(٢٥) انظر بتصرف تفسير القرطبى جـ ٤ ص ١٥٥ بتصرف يسير.

لقد كانت المواجهة مباشرة من جانب المشركين للإسلام والمسلمين فى مكة ـ لأن المسلمين كانوا فى حالة استضعاف وكان توجيه النبى لهم ألا يقابلوا العنف بالعنف ـ وكان يأمرهم أن يكفوا أيديهم ـ ويقيموا الصلاة.

وبعد أن انتقل المسلمون إلى المدينة أصبحوا قوة ـ وبات الجميع يحسبون لهم حسابا فنشأت حركة النفاق وهم جماعة أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

وظهور المنافقين يثبت لنا أمرين:

الأول:

قوة المسلمين وخشية غيرهم منهم :

الثانى:

الضعف الذى اتصف به المنافقون، الأمر الذى جعلهم لا يجرءون على المواجهة المباشرة مع المسلمين.

وعلى الرغم من هذا، فإن حديث القرآن الكريم عنهم فى أكثر من سورة يشعر بضخامة الدور الذى كان يقوم به المنافقون فى المدينة لإيذاء الجماعة المسلمة ومدى التعب والقلق والاضطراب الذى كانوا يُحْدِثُونَه (٢٦)

وإذا كان وجود المنافقين على هذه الصورة يمثل خطرا على المسلمين، فإن الخطر الأكبر تمثل فى

تحالف اليهود مع المنافقين:

فقد دخل كثير من اليهود الإسلام واحتموا فيه وشاركوا المنافقين فى كيدهم للإسلام، وإذا كان منافقو المدينة كانوا فى الأصل عبادًا للأصنام، فإن فتنتهم للمسلمين لم تتسم بالعمق الذى اتسم به كيد اليهود الذين دخلوا الإسلام ليكيدوا له.

---

(٢٦) انظر ظلال القرآن جـ١ ص ٤٥.

وقد أورد ابن اسحاق أسماء من تعوذ بالإسلام أى احتمى فيه ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ـ فذكر منهم، سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى ابن عمرو، وعثمان بن أوفى ثم ذكر طرفا مما حدث من بعضهم وهو زيد بن اللصيت.

يقول عنه ابن اسحاق:

"وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءه الخبر بما قاله عدو الله فى رحله، ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته إن قائلا قال: يزعم محمد أن يأتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته وإنى والله ما أعلم إلا ما أعلمنى الله وقد دلنى الله عليها"

ولكن ـ يهمنا أن نتوقف عند هذا العدد من اليهود الذين أعلنوا الإسلام وأبطنوا الكفر ـ والتأثير الذى أحدثوه فى الصف الإسلامى.

لقد نزلت آيات فى القرآن الكريم تبين صراحة ـ الدور الخبيث الذى مارسه اليهود ضد الإسلام والمسلمين، وسوف نستعرض بعض الآيات التى كشفت اليهود على حقيقتهم وأطلع الله نبيه على ما يخفونه من المسلمين.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ "(٢٧)

إن القرآن الكريم يكشف ما تعاهدوا عليه من إخفاء للكفر وإظهار للإيمان.

ورد فى لباب المنقول "عن ابن عباس قال: قال عبد الله الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم فأنزل الله فيهم.

---

(٢٧) سورة آل عمران الآيات ٧١ / ٧٣.

"﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (١)"

وإظهار الإسلام وإبطان الكفر يُعد من أخطر المواقف التى اتخذها اليهود فى غزوهم الفكرى للمسلمين، سواء على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما بينا أو بعد ذلك أيام الخلفاء الراشدين - خاصة فى الفتنة الكبرى وما كان لليهودى الأصل عبد الله بن سبأ من دور فيها أو بعد ذلك فى عهد الدولة الأموية والعباسية وفى الأندلس إلى العصر الحديث (٢)

ويتمثل خطورة هذا الموقف أى اعلان الإسلام إبطان الكفر فى الآتى:

أولاً:

أن اليهود حين استخرجوا هذه الحيلة قصدوا منها تشكيك البعض فى الإسلام لأنهم حين دخلوا فى الإسلام أظهروا تصديق ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فترة - ثم بعد ذلك أظهروا تكذيبه ويترتب على هذا:

أن الناس حين يسمعون هذا التكذيب يقولون: إنه ليس لأجل الحسد والعناد من جانب اليهود وإلا لما آمنوا - فى أول الأمر.

وطعن اليهود فى الإسلام بعد الدخول فيه: يوحى إلى الناس أن اليهود ظهر لهم بعد البحث والتأمل أن محمدًا يكذب، فيموهوا بذلك على ضعاف المسلمين ويلقون الشُبه فى عقولهم،

ثانيا: أن هذا التشكيك من جانب اليهود لم يتم عفويا وإنما هو مقصود ومرتب ومدبر بدليل ما حكاه الله عنهم إذ أن غرضهم رجوع أصحاب محمد إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام(٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧١- ٧٢

(٢) سنتتبع إن شاء الله الغزو الفكرى من جانب اليهود منذ نشأته حتى العصر الحديث.

(٣) انظر التفسير الكبير للرازى المجلد الرابع المجلد الرابع جـ ٨ ص ١٠٤ .

ثالثا:

أن هذا الموقف يرجع إلى فشل خططهم السابقة فى إثارة الفتنة فعمدوا إلى إظهار الإسلام ليطعنوه باسم أتباعه

رابعا:

أن اليهود قد أيقنوا أن النزاع العقلى المباشر قد ينتهى إلى دحرهم وانقطاعهم فاتجهوا هذا الاتجاه فى محاولة منهم لتقويض العقائد الإسلامية. وهذا الاتجاه يتفق مع الطبيعة اليهودية المغلقة التى تلجأ إلى التخفى حين تُغلب على أمرها [٣٠]

خامسًا:

والموقف النهائى الذى يبغيه اليهود من غزوهم الفكرى ومن التستر وراء الإسلام هو تشكيك المسلمين فى دينهم على أمل أن يرتد المسلمون ويعودوا إلى الكفر مرة أخرى بعد أن منَّ الله عليهم بالهداية والإيمان، وهذا ما عرضه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

"ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شئ قدير"

إن الحسد هو الانفعال الأسود الخسيس الذى فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالت تفيض وهو الذى انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها، وهو الذى يكشفه القرآن الكريم للمسلمين ليعرفوه ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة فى نفوسهم وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذى كانوا فيه والذى أنقذهم الله منه بالإيمان وخصهم بأعظم الفضل وأجل النعم التى تحسدهم عليها يهود

ولكن اليهود ألقوا بأيديهم إلى التهلكة واشتركوا فى كيد المسلمين عمليا - بتحالفهم مع المشركين تارة ومحاولة اعتدائهم على الرسول تارة أخرى، أو الاعتداء

(٣٠) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ٧٠.

على بعض أفراد المجتمع الإسلامي، كما حدث مع المرأة التى حاول اليهود أن يكشفوا عورتها.

وإذا كان القرآن الكريم يوصى المؤمنين بالصبر على إيذاء أهل الكتاب عامة ـ واليهود خاصة ـ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم.

فإن الرسول لم يتسامح مطلقا مع أى موقف عدائى من جانب اليهود على أحد المسلمين، وحدثت أمور دفع اليهود ثمنها من دمائهم.

ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ـ إلا وقد قضى على اليهود فى المدينة المنورة، وكان آخرهم يهود بنى قريظة الذين ذبح رجالهم وسبى نساءهم وذراريهم وأذل ما حولها من اليهود بما فرض عليهم صلى الله عليه وسلم كيهود خيبر وغيرهم.

وسوف نرى كيف حاول اليهود أن يعودوا مرة أخرى إلى المجتمع الإسلامى بخطة جديدة خفقت حينا ونجحت أحيانا فى إثارة الفتن وإراقة الدماء بين المسلمين .

المبحث الثانى
الغزو الفكرى اليهودى فى عصر الخلفاء الراشدين

انتهى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد طهُرت المدينة المنورة وما حولها من أخطار اليهود إذ لم يعد لهم أى قوة.

وجاءت خلافة الصديق وانشغل المسلمون بحروب الردة ولم يكن لليهود أثر يذكر فى عهد أبى بكر الصديق.

وانتقل الصديق إلى جوار ربه مؤديا الأمانة على أكمل وجه. وتولى من بعده عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وكان قد وفد على المدينة بعض اليهود الذين أسلموا ولكن عمر كانت عيناه متفتحة وأذناه صاغيتين لكل مستحدث يخالف الإسلام(١).

وانتهى عهد عمر وكان لشدته أثر كبير فى حفظ دين المسلمين.

ولكن ما أن تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة حتى طمع الكثيرون فى إثارة الفتن.. عن طريق القصص التى إنتشرت "فى عهد عثمان رضى الله عنه وكرهه الإمام على حتى أخرج القُصاص من المساجد لما كانوا يضعونه فى أذهان الناس من خرافات وأساطير بعضها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف وعراها التغيير"(٢).

ويبدو أن هذه خطة كانت مرسومة تبدأ على هذا النحو - يمارس البعض القصص ويبث من خلالها أفكار الديانات السابقة خاصة الإسرائيليات ثم بعد ذلك أخذت الخطة طريقا آخر وهى إثارة الناس على الخليفة الثالث عثمان بن عفان - وتولى كبر هذا الإفك عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وكان يهوديا ثم أسلم - لكن الأحداث التى شارك فيها تدل على أنه كان يخفى يهوديته تحت ستار الإسلام.

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ٦٩

(٢) المذاهب الإسلامية جـ ٢ ص ٢٠ الشيخ أبو زهرة - وانظر الدراسة القيمة التى تناولها الدكتور فتحى الزغبى - عن الإسرائيليات - وكيف تسربت إلى ثقافة الأمة الإسلامية فى كتابه تنزيه نبى الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود فى العهد القديم والإسرائيليات ص ١٩١/ ٢٠١ .

فهو الذى ألب الأمصار على سيدنا عثمان رضى الله عنه، وعلى يديه كانت الفتنة الكبرى. وكان كلما أوشك أطراف النزاع على رأب الصدع والاتفاق على الصلح ووضع أوزار الحرب كان يؤجج نارها هو ومن معه(١).

يقول الدكتور النشار:

" نحن نعلم أن اليهود قد استئصلوا من الحجاز وانتقلوا شمالا إلى الشام، كما ذهب البعض منهم إلى الكوفة. ولكن بقى عدد منهم فى اليمن وسرعان ما أخذ يهود اليمن يفدون إلى الحجاز وقد اعتنق البعض منهم الإسلام، وكان هؤلاء ينتمون إلى أفخاذ عربية تهودت قبل الإسلام، وكان البعض الآخر يهوديا خالصا.

ودخل بعض أحبار الفريقين الإسلام وهم على ضغينة وحقد عليه وتربص به.

وكانت رائحة الفتنة تطل منذ عهد عثمان الخليفة السهل اللين، ورأى هؤلاء الأحبار الفرصة موايتة، لقد أُبعد علىُ عن الخلافة ثلاث مرات - وعلىُ صاحب العلم والدين وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصهره، وقد كان له بمنزله هارون من موسى، فألقى هؤلاء اليهود بفكرة "الإمام المعصوم" و "خاتم الأوصياء".

وتكاد تجمع كتب العقائد الإسلامية على أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا قبل أن يعتنق الإسلام"(٢).

---

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٣١٧.

(٢) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ٦٨.

"المصادر القديمة سواء كان أصحابها مؤرخين كالطيرى وابن كثير وابن خلدون وابن عساكر وغيرهم - أو كانوا كتاب فرق مثل الأشعرى والبغدادى والشهرستانى وابن حزم والاسفراينى من أهل السنة، ومن كتاب الشيعة النوبختى والقمى قد أكدوا وجوده ونقلوا آراءه وبينوا خطره".

انظر غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٧٦.

ولكن بعض المستشرقين مثل برنارد لويس، وفلهوزن وفريد لندر وكاتيانى يؤكدون أن "المؤامرة والدعوة المنسوبتين إلى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين".

أصول الإسماعيلية - نقلا عن غلاة الشيعة ص ٧٧ وقد فند الدكتور عبد الرحمن بدوى آراء المستشرقين فى هذا الصدد.

ومن الباحثين المحدثين الذين يشككون فى وجود عبد الله بن سبأ الدكتور طه حسين - ويرى أنه على فرض وجوده فإنه لم يكن بهذه الخطورة التى صوره بها المؤرخون.

انظر الفتنة الكبرى - على وبنوه - ص ٩١.

ولكن الرأى الذى استقر عليه العلماء المحدثون - إثبات وجوده وإثبات دوره فى الفتنة التى ظهرت فى عهد سيدنا عثمان وسيدنا على على السواء.

انظر بالتفصيل فى هذا الصدد - غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام - للدكتور فتحى الزغبى ص ٧٤ /٨٢.

عبد الله بن سبأ ودوره فى الفتنة:

ماذا فعل عبد الله بن سبأ، لإشعال الفتنة؟

إنه كيهودى متمرس لا يمكن أ ن يلقى ما يريد مباشرة ولكنه بث أفكارا وانتهى منها إلى أن "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع وقد قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[1]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصى وكان علىّ وصى محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك أن عثمان أخذها بغير حق.

وهذا وصِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه، وابدؤا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس إلى هذا الأمر، وبث دعاته وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتبا يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون"[2].

ورواية سيف بن عمر - تضع أيدينا على مواطن الخطورة فى دعوة عبد الله بن سبأ.

أولا:

أنه أوّل آيات القرآن الكريم تأويلاً أخرجها عن المعنى المتفق عليه والمتعارف بين الصحابة، فقد فسر المعاد فى الآية بالرجوع بعد الموت وهذا ما يعرف بعقيدة الرجعة

---

(١) سورة القصص الآية ٨٥.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبى الآمدى ص ٤٨ ، ٤٩ - وهى الرواية التى اعتمد عليها الامام الطبرى - فى هذا الموضوع - جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش - دار النفائس ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

بعد الموت، بدأ بها عبد الله بن سبأ وانتشرت من بعده عند الغلاة من الشيعة، وهذا ما يجعل بعض الباحثين كجولدزيهر يقرر أن عقيدة الرجعة ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم الخاصة وإنما هناك احتمال أنها تسربت إليهم عن طريق مؤثرات خارجية منها اليهودية"[١].

وقد ظهر من رواية سيف بن عمر أن عبد الله بن سبأ هو أول من نادى بها، ولكنه أرجعها إلى النبى وإلى عيسى عليه السلام كما يزعم ولأن عليا وصى رسول الله - فسوف يرجع بعد موته مرة أخرى.

ثانيا:

أنه ألبس الفتنة ثوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. فزعم أن عثمان ظلم عليًا فى أمر الخلافة، ورد الظلم واجب، ومن هذه الفكرة استطاع أن يخرج الفتنة من مصر إلى بقية الأمصار وأن يجمع حوله الأتباع.

ثالثا:

أن الأفكار التى أثارها عبد الله بن سبأ كانت محورًا لفرق كثيرة التفت حولها - وكانت هذه الأفكار. بمثابة العقائد التى يجتمع حولها كل من يريد أن يطعن فى الإسلام أو يكيد المسلمين [٢].

لقد لعب اليهود دورًا خبيثًا فى الأمة الإسلامية واستطاعوا أن يختفوا تحت ستار الإسلام ليوقعوا المسلمين فى فتن لا تنتهى وليريقوا دماءهم ويفسدوا عقيدتهم.

وإذا كان لعبد الله بن سبأ دورًا مشئومًا فى فتنة سيدنا عثمان وقتله فقد كان له دور آخر فى وقعة الجمل وتظهر رواية سيف بن عمر عن وقعة الجمل الحوار الذى دار بين عبد الله ابن سبأ وبين بعض الذين يريدون الإصلاح - وكلما تكلموا عن الصلح ومنع إراقة الدماء إذا بعبد الله بن سبأ يخوف كل فريق من عدوه ويسفه الآراء التى تدعو إلى الصلح حتى حدثت واقعة الجمل[٣].

---

(١) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص ١٦٣.

(٢) انظر غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٧٩ /٣٨٢،

(٣) أنظر الفتنة ووقعة الجمل ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

وحتى بعد أن قُتل سيدنا على كانت الفتنة على أشدها من بعده فقد زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًا وإنما كان شيطانًا تصور للناس فى صورة على، وأن عليًا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام.

وقال: كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل على وإنما رأت اليهود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبهوه بعيسى كذلك القائلون بقتل علىّ رأوا قتيلاً يشبه عليًا فظنوا أنه على، وعلى قد صعد إلى السماء وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه". (١)

هذه مقولة عبد الله بن سبأ فى سيدنا علىّ فهل كان هذا الرأى فرديا؟ كلا، كان هذا الرأى فكرة التف حولها جماعة سموا بالسبئية يعرفنا بهم الجرجانى فى كتابه التعريفات فيقول:

"السبئية هم أصحاب عبد الله بن سبأ - قال لعلىّ رضى الله عنه: أنت الإله حقا، فنفاه على إلى المدائن، وقال ابن سبأ - لم يمت علىّ ولم يقتل وإنما قتل ابن ملجم شيطانا تصور بصورة علىّ رضى الله عنه، وعلى فى السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وأنه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملؤها عدلا وهؤلاء يقولون عليك السلام يا أمير المؤمنين" (٢)

وسوف نجد الآثار الخطيرة لهذه الفرقة على غيرها من الفرق الخارجة عن الإسلام وستظل هذه الآراء تنتقل جيلاً بعد جيل عن طريق الغلاة من الشيعة إلى أن تصل إلى البابية والبهائية فى العصر الحديث.

(١) الفرق بين البغدادى ص ٢٣٤/٢٣٥.

(٢) التعريفات للسيد الجرجانى ص ١٠٣،